

حَوَّلُوا قُلُوبَهُمْ



السَّبْتُ بَعْدَ الظُّهْرِ

المراجع الأسبوعية: تثنية ٥: ٢٢-٢٩؛ تثنية ٤: ٢٥-٣١؛ تثنية ٣٠: ١-١٠؛ متى ٣: ١-٨؛ مرقس ١: ١٥؛ أعمال الرسل ٢: ٣٧، ٣٨.

آية الحفظ: «ثُمَّ إِنْ طَابَّتْ مِنْ هُنَاكَ الرَّبِّ إِلَهَكَ تَجِدُهُ إِذَا التَّمَسْتَهُ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ» (تثنية ٤: ٢٩).

حقيقة بسيطة في الحياة تنطبق علينا جميعًا: نحن خطاة آثمين. أحيانًا نسمع بعض «الخبراء» يتحسرون على الفكرة المسيحية المتعلقة بالفساد البشري الأساسي، ولكن كل ما على المرء فعله هو متابعة الأخبار لمدة يوم أو نحو ذلك أو إجراء مسح سريع للتاريخ البشري، وعندها يصبح صدق هذه العقيدة المسيحية واضحًا.

في الواقع، هناك طريقة أسهل وفي متناول الجميع، فكل ما على المرء فعله هو النظر في المرأة. فإن كل من لديه الشجاعة لإلقاء نظرة عميقة داخل قلبه (والذي يمكن أن يكون مكانًا مخيفًا للذهاب إليه) سوف يعرف صدق رومية ٣: ٩-٢٣، والتي تنتهي بالكلمات التالية: «إِذِ الْجَمِيعُ أَخْطَأُوا وَأَعْوَزَهُمْ مَجْدُ اللَّهِ» (رومية ٣: ٢٣).

بالطبع، توجد الأخبار السارة في الآية التالية، حول حقيقة كوننا «مُتَبَرِّرِينَ مَجَانًا بِنِعْمَتِهِ بِالْفِدَاءِ الَّذِي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رومية ٣: ٢٤). التوبة هي من الأمور الحاسمة في هذه الأخبار العظيمة؛ والتوبة هي الاعتراف بخطيتنا، والندم عليها، وطلب مغفرة الله لها، وفي النهاية الابتعاد عنها. لأننا خطاة آثمين، يجب أن تكون التوبة جزءًا أساسيًا من وجودنا المسيحي. وفي هذا الأسبوع، سنرى فكرة التوبة كما تم التعبير عنها في سفر التثنية.

*نرجو التعمق في موضوع هذا الدرس استعدادًا لمناقشته يوم السبت القادم الموافق ٧٢ تشرين الثاني (نوفمبر).

«مَنْ سَوْفَ يُعْطِي؟»

اللغة العبرية، مثل معظم اللغات، مليئة بالتعابير الاصطلاحية، عندما تستخدم كلمات معينة لتعني شيئاً مختلفاً عما تقولونه تلك الكلمات بالفعل. أحد المصطلحات في العهد القديم هو «مِي-يَيْتَنْ» أو «Mi-yitten». «مِي» هي السؤال «مَنْ؟» و «يَيْتَنْ» تعني «سوف يعطي». لذا، فَإِنَّ «مِي-يَيْتَنْ» تعني حرفياً «مَنْ سَوْفَ يُعْطِي؟» ومع ذلك، فَإِنَّ العِبْرَةَ في العهد القديم تعبّر عن فكرة توق، تمّني، شخص ما في الحصول على شيء ما بشدّة.

على سبيل المثال، بعد فرارهم من مصر، واجه بنو إسرائيل تحديات في البرية، وهتفوا، «لَيْتَنَّا مُتْنَا بِيَدِ الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ!» (خروج ١٦: ٣). تأتي لفظة «لَيْتَنَّا» من «مِي-يَيْتَنْ». في مزمور ٧: ١٤ يقول داود، «لَيْتَ مِنْ صَهِيُونَ خَلَاصَ إِسْرَائِيلَ!»، واللفظة المستخدمة هنا أيضاً في اللغة العبرية هي «مِي-يَيْتَنْ». وفي سفر أيوب ٦: ٨، عندما هتف أيوب قائلاً، «يَا لَيْتَ طِبَّتِي تَأْتِي!»، فإن كلمة «يَا» مشتقة من «مِي-يَيْتَنْ».

اقرأ تثنية ٥: ٢٢-٢٩، مع التركيز بشكل خاص على الآية ٢٩. ماذا يعني أن الكلمة المترجمة «يَا» تأتي من لفظة «مِي-يَيْتَنْ» أو «مَنْ سَوْفَ يُعْطِي»؟

ها هو ذا الرب — الله الخالق، الذي خلق المكان والزمان والمادة، الذي نطق فجاء عالمنا إلى الوجود، الذي نفخ في آدم نسمة الحياة — ينطق بعبارة ترتبط عموماً بنقاط الضعف والقيود الإنسانية. يا له من مثال على حقيقة الإرادة الحرة! هنا نرى أن هناك حدوداً لما يمكن أن يفعله الله في خضم الصراع العظيم. يكشف استخدام عبارة «مَنْ سَوْفَ يُعْطِي» أو «مِي-يَيْتَنْ» هذا أنه حتى الله لا يستطيع أن يدوس على حرية الإرادة لدى الإنسان؛ لأنه في اللحظة التي يفعل فيها ذلك، لن تكون الإرادة حُرّة فيما بعد. ومثلما نحن البشر أحرار في ارتكاب الخطية، فنحن أيضاً أحرار في اختيار الرب، واختيار أن نكون متقبلين لأن يقود حياتنا؛ وأحرارٌ كذلك، من خلال الاستجابة لروح القدس، في اختيار التوبة عن خطايانا واتباعه. في نهاية المطاف، الاختيار هو اختيارنا نحن، اختيارنا وحدنا، وهو اختيار يتعين علينا أن نتخذه يوماً بعد يوم، لحظة بلحظة.

ما هي بعض الاختيارات التي ستواجهها في الساعات أو الأيام القليلة القادمة؟ كيف يمكنك أن تتعلم تسليم إرادتك لله حتى تتمكن، بقوته، من اتخاذ الاختيارات الصحيحة؟

تَطَلُّبُونِي فَتَجِدُونِي

نجد في الكتاب المقدس دليلاً على علم الله المسبق. أي أنه يعلم مسبقاً كل ما سيحدث. سواء كان صعود وسقوط الإمبراطوريات العالمية (دانيال ٧) أو معرفة ما سيقوم به الإنسان قُبيل ساعات فقط من حدوث الشيء، «الْحَقُّ أَقُولُ لَكَ: إِنَّكَ فِي هَذِهِ اللَّيْلَةِ قَبْلَ أَنْ يَصِيحَ دِيكَ تُنْكِرُنِي ثَلَاثَ مَرَّاتٍ» (متى ٢٦: ٣٤). الرب يعرف النهاية من البداية. إِنَّ معرفة الله المسبقة، حتى باختياراتنا الحرة، ليس لها أي تأثير على الإطلاق على حرية تلك الاختيارات. وهكذا، عَرَفَ الرب، حتى قبل أن يأتي ببني إسرائيل قديماً إلى الأرض الموعودة، ما الذي كانوا سيفعلونه عندما يكونون في تلك الأرض.

اقرأ تثنية ٤: ٢٥ - ٢٨. ماذا قال الرب أنهم سيفعلونه بعد الاستقرار في الأرض الموعودة لهم؟

في الآيات السابقة، قال لهم الرب على وجه التحديد ألا يصنعوا أصناماً، وألا يعبدونها (تثنية ٤: ١٥-٢٠). ومع ذلك، تقول الآيات التالية إلى حد كبير، أن صُنِعَ الأصنام وعبادتها هو بالضبط ما كانوا سيفعلونه، على الرغم من كل التحذيرات. لاحظ أن موسى كان واضحاً في تثنية ٤: ٢٥ في أن ذلك لن يحدث على الفور. فبعد كل ما مروا به واختبروه للتو، لم يكن من المحتمل أن يقعوا في عبادة الأوثان على الفور. ومع ذلك، مع مرور الوقت، وبعد جيل أو نحو ذلك، كان الميل إلى «نسيان» ما فعله الرب لهم (تثنية ٤: ٩)، وما حذرهم منه، سيؤدي بهم إلى فعل ما حذرهم منه بالضبط.

اقرأ تثنية ٤: ٢٩ - ٣١. ماذا قال الرب أنه سيفعل لأجلهم في هذه الحالة بالذات؟

إِنَّ نعمة الله مدهشة. فإنه حتى بعد سقوطهم في شرِّ عبادة الأوثان الرهيب، حتى بعد أن نالوا عواقب خطاياهم، إذا هم لجأوا إلى الرب، فإنه كان سيغفر لهم ويستردهم. باختصار، إذا هم اختاروا التوبة بمحض اختيارهم، كان الله سيقبل توبتهم. الكلمة في تثنية ٤: ٣٠، والتي غالباً ما تُترجم «العودة»، تعني حقاً «الرجوع». أي أنهم يرجعون إلى الرب، إلى حيث كان من المفترض أن يكونوا طوال الوقت. إِنَّ الكلمة العبرية «teshuvah» أو «تَشُوقُهُ»، المشتقة من أصل الكلمة التي تعني «الرجوع»، تعني «التوبة». وهكذا، فإن كل ما يتعلق بالتوبة هو في جوهره رجوع إلى الله بعد أن كنا قد انفصلنا عنه بسبب خطايانا.

«تَشْوَقُهُ»

في كلِّ سَفَرِ التَّثْنِيَةِ، يظهر موضوع رئيسي: أطع الرب وتبارك، أو إعصِ الأَمْرَ وستتحمل العواقب. لا يختلف الأمر في العهد الجديد. «لَا تَضَلُّوا! اللَّهُ لَا يُشْمَخُ عَلَيْه. فَإِنَّ الَّذِي يَزْرَعُهُ الْإِنْسَانُ إِيَّاهُ يَحْصُدُ أَيْضًا. لِأَنَّ مَنْ يَزْرَعُ لِحَسَدِهِ فَمِنْ الْحَسَدِ يَحْصُدُ فَسَادًا، وَمَنْ يَزْرَعُ لِلرُّوحِ فَمِنْ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّةً» (غلاطية ٦: ٧، ٨).

المؤسف، على الأقل بعد السقوط، أن الخطية سهلة وطبيعية مثل التنفس. وعلى الرغم من كل التحذيرات والوعود — «إِنَّ هَذِهِ الْوَصِيَّةَ الَّتِي أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ لَيْسَتْ عَسِرَةً عَلَيْكَ وَلَا بَعِيدَةً مِنْكَ» (تثنية ٣٠: ١١)، إلا أن الكثير من الناس سقطوا في الذنوب التي حذرهم الله منها على وجه التحديد.

ومع ذلك، حتى في ذلك الوقت، كان الله على استعداد لاستعادتهم إذا هم تابوا، مستخدمين إرادتهم الحرّة واختيارهم الحرّ، ورجعوا إليه.

اقرأ مرة أخرى تثنية ٣٠: ١٠-١١. ماذا يقول الرب أنه سيفعل لشعبه على الرغم من كل ما اقترفوه؟ ومع ذلك، ما هو الشرط الذي ارتكزت عليه هذه الوعود الرائعة؟

الفكرة بسيطة ومباشرة: إذا أخطأت، فسيترتب على ذلك عواقب وخيمة، عليك وعلى عائلتك. هذا ما تفعله الخطية. ومع ذلك، حتى في هذه الحالة، يمكنك أن تتوب، وسيُرجعك الرب ويباركك. في هذه الآيات، يظهر مرات عديدة نفس الأصل العبري لكلمة «الرجوع». في سَفَرِ التَّثْنِيَةِ ٣٠: ٢ يقول النص «وَرَجَعْتَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكَ». أما في تثنية ٣٠: ٨ فيترجم النص «وَأَمَّا أَنْتَ فَتَعُودُ تَسْمَعُ لَصَوْتِ الرَّبِّ» وهذه ترجمة صحيحة، ويمكن أن تُترجم حرفيًا كما يلي، «فترجع وتطيع صوت الرب». وأخيرًا، في تثنية ٣٠: ١٠، يقول النص «إِذَا رَجَعْتَ إِلَى الرَّبِّ إِلَهِكَ بِكُلِّ قَلْبِكَ وَبِكُلِّ نَفْسِكَ». وهكذا نجد كلمة الرجوع ومرادفاتها متكررة في هذه الآيات.

بمعنى آخر، على الرغم من كل ما حدث لهم، على الرغم من انتهاكهم التام للعهد وكسرهم له، فإن الرب لم يتخلّ عن أولئك الناس، وإذا كانوا لا يريدون أن يتخلى الرب عنهم، فكان يمكنهم إظهار هذه الرغبة عن طريق التوبة.

على الرغم من تعامل الله مع الأمة ككل آنذاك، كيف لا تزال هذه النصوص، على الرغم من السياق المختلف عن سياقنا اليوم، تعكس حقيقة مدى أهمية التوبة الحقيقية بالنسبة لنا كمؤمنين ينتهكون أحيانًا العهد الذي قطعناه مع الله، كذلك؟

بِكُلِّ قَلْبِكَ

الفقرة الكتابية في تثنية ٣٠: ١-١٠ تكشف عن نعمة الله وصلاحه نحو العصاة والخطاة، بل لقد بارك الله أولئك المذنبين والعصاة بطرق فريدة: «لأنَّهُ أَيُّ شَعْبٍ هُوَ عَظِيمٌ لَهُ آلِهَةٌ قَرِيبَةٌ مِنْهُ كَالرَّبِّ إِلَهِنَا فِي كُلِّ أَدْعِيَتِنَا إِلَيْهِ؟» (تثنية ٤: ٧). على الرغم من كل ما فعله من أجلهم، ورغم حقيقة أنه ليس لديهم عذر حقيقي أو مبرر لخطيتهم، إلا أنهم أخطأوا على أي حال (هل ترى في ذلك تشابهاً لحالاتنا؟). ومع ذلك، حتى في ضوء كل هذا، ما الذي يفعله الله؟

في تثنية ٣٠: ١-١٠، التفت إلى ما اقتضته توبتهم، ورجوعهم إلى الله. ما الذي طُلبَ منهم، وماذا يجب أن يعلمنا ذلك اليوم عما تتضمنه التوبة الحقيقية؟

في النهاية، كان عليهم أن يختاروا الرجوع إليه وطاعته بكل قلوبهم. بطريقة ما، كانت المشكلة الحقيقية هي قلوبهم، لأنه إذا كانت قلوبهم مُسْتَقِيمَةً أمام الله، فإن أفعالهم كان ستتبع ذلك: أي سيكونون مطيعين.

هذا هو سبب إعطائهم الوعد الرائع بأنهم إذا «رجعوا» إلى الرب، والتفتوا إليه بصدق، فسيعمل فيهم و«يختن» قلوبهم. كان عليهم أن يختاروا، في ظل أسْرهم، أن يرجعوا إلى الله، ومن ثم كان الله سيعيدهم إلى نفسه وإلى الأرض. ثم هناك، في الأرض، كان سيباركهم. وجزء من البركة هو أنه كان سيعمل في داخلهم وداخل أولادهم لتغيير قلوبهم أكثر نحوه، «لِكَيْ تُحِبَّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ لِتَحْيَا» (تثنية ٣٠: ٦).

في النهاية، واستجابة لتوجيهات الله (راجع أعمال الرسل ٥: ٣١)، كان عليهم أن يتوبوا حقًا عن خطاياهم. وعلى الرغم من تعاملها مع سياق تاريخي مختلف، كتبت روح النبوة ما يلي: «لقد ناح الشعب لأن خطاياهم جلبت عليهم المتاعب والآلام ولكنهم لم ينوحوا لأنهم قد أهانوا الله بتعديدهم شريعته المقدسة. إن التوبة الحقيقية هي شيء أعظم وأعمق من الحزن على الخطية. إنها الرجوع بعزم صادق عن الشر» (الآباء والأنبياء، صفحة ٥٠٤). وهذه حقيقة يمكننا رؤيتها في تثنية ٣٠: ١-١٠.

كيف يمكننا معرفة الفرق بين أن نأسف على عواقب خطايانا، وهو الأمر الذي يمكن لأي شخص أن يفعله، وأن نأسف على الخطايا نفسها؟ لماذا يُعْتَبَر هذا التباين مهمًا جدًا؟

توبوا وتجددوا

إنَّ العهد الجديد مليء بفكرة التوبة. في الواقع، بدأ يوحنا المعمدان خدمته بالدعوة إلى التوبة.

اقرأ متى ٣: ١-٨. كيف تظهر فكرة «الرجوع» في هذه الآيات؟ بعبارة أخرى، ما الذي قال لهم يوحنا أن يفعلوه ويعكس ما جاء في سفر التثنية؟ لماذا، أيضًا، كان لِكَلِمَاتِهِ أهمية خاصة بالنسبة للفرّيسيّين والصّدُوقيّين؟

يسوع، أيضًا، بدأ خدمته بدعوات للتوبة.

اقرأ مرقس ١: ١٥. ماذا قال يسوع، ولماذا ربط التوبة ببشارة الإنجيل؟

سواء كان يوحنا يتحدث على وجه التحديد إلى القادة الدينيين، أو يسوع يتحدث إلى الأمة ككل، فإن الفكرة هي نفسها. نحن خطاة، وعلى الرغم من أن المسيح قد جاء ليُخَلِّصَ الخطاة، يجب أن نتوب عن خطايانا. وتلك التوبة — سواء كنت عاصيًا أو مسيحيًا مُخَلِّصًا يقع في الخطية أو كمهتدٍ جديد — تتضمن تحولًا عن طرقنا الآثمة القديمة. يجب أن نعتزف بخطايانا، وأن نعبّر عن التوبة عن خطايانا نفسها (وليس فقط عواقبها)، يجب أن نتخذ قرارًا واعيًا بالتخلي عن تلك الخطايا، والاعتماد كليًا على استحقاقات يسوع، «إِذَا سَمِعْتَ صَوْتَ الرَّبِّ إِلَهَكَ» (تثنية ١٥: ٥).

يرى بعض علماء الكتاب المقدس أن العهد الجديد يردّد أصداء فكرة التوبة كما وردت في سفر التثنية. على سبيل المثال، عندما يتهم بطرس الأمة بصلب يسوع، فإن العديد من الناس «لَمَّا سَمِعُوا نُخَسُوا فِي قُلُوبِهِمْ، وَقَالُوا لِبُطْرُسَ وَلسَائِرِ الرُّسُلِ: «مَاذَا نَصْنَعُ أَيُّهَا الرَّجَالُ الإِخْوَةُ؟» (أعمال الرسل ٢: ٣٧). معنى ذلك هو أنهم عند إدراكهم لخطيتهم، أسفوا عليها («نُخَسُوا فِي قُلُوبِهِمْ»)، وأرادوا معرفة ما يجب عليهم فعله لتقويم الأمور بينهم وبين الله الذي أساءوا إليه.

أليس هذا، إلى حد كبير، هو الحال بالنسبة لنا؟ فنحن خُطَاةٌ أساءوا إلى الله.

اقرأ اعمال ٢: ٣٨. كيف أجاب بطرس على سؤالهم، وكيف يكشف هذا الحدث عن مبدأ التوبة الحقيقية؟

لَمَزِيدٍ مِنَ الدَّرْسِ: «إنَّ توبتنا ستتعمق في كل خطوة من خطوات تقدمنا في الاختبار المسيحي. فالذين غفر لهم الرب، والذين يعترف بأنهم شعبه يقول لهم: «فتذكرون طرقكم الرديئة وأعمالكم غير الصالحة وتمقتون أنفسكم أمام وجوهكم» — حَزَقِيَال ٣٦ : ٣١). ثم يقول أيضا: «وَأَنَا أَقِيمُ عَهْدِي مَعَكَ، فَتَعْلَمِينَ أَنِّي أَنَا الرَّبُّ، لِكَيْ تَتَذَكَّرِي فَتَخْزِي وَلَا تَفْتَحِي فَاكِ بَعْدُ بِسَبَبِ خِزْيِكِ، حِينَ أَغْفِرُ لِكَ كُلِّ مَا فَعَلْتِ، يَقُولُ السَّيِّدُ الرَّبُّ» — حَزَقِيَال ١٦ : ٦٢، ٦٣. وحينئذ لن تنفرج شفاهنا عن أقوال التمجيد لذواتنا. وسنعلم أن كفايتنا هي في المسيح وحده. وسنعترف بما قد اعترف به الرسول عندما قال: «فَإِنِّي أَعْلَمُ أَنَّهُ لَيْسَ سَاكِنٌ فِيَّ (أي في جسدي) شَيْءٌ صَالِحٌ»- رومية ٧ : ١٨). «حَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» - غلاطية ٦ : ١٤.» (روح النبوة، المعلم الأعظم، صفحة ١٠٢).

«لُطْفَ اللَّهِ إِنَّمَا يَفْتَادِكُ إِلَى التَّوْبَةِ» - رومية ٢ : ٤. إنَّ سلسلة ذهبية هي رحمة المحبة الإلهية وحنانها تحيط بكل نفس معرضة للخطر. والرب يعلن قائلاً: «مَحَبَّةٌ أَبَدِيَّةٌ أَحَبَّبْتُكَ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدْمَتُ لِكَ الرَّحْمَةَ» (إِرْمِيَا ٣١ : ٣).» (روح النبوة، المعلم الأعظم، صفحة ١٢٩، ١٣٠).

أَسْئَلَةُ لِلنَّقَاشِ:

١. على الرغم من أننا يجب أن نتوب، فكيف لنا أن نكون حريصين على تجنب الوقوع في فخ جعل التوبة أمراً جديراً بالتقدير، كما لو أن فعل التوبة في حد ذاته هو ما يجعلنا مستحقين أمام الله؟ ما هي الطريقة الوحيدة التي يمكننا من خلالها أن نكون محققين أمام الله؟

٢. «حِينَئِذٍ لَمَّا رَأَى يَهُودًا الَّذِي أَسْلَمَهُ أَنَّهُ قَدْ دِينَ، نَدِمَ وَرَدَّ الثَّلَاثِينَ مِنَ الْفِضَّةِ إِلَى رُؤَسَاءِ الْكَهَنَةِ وَالشُّيُوخِ قَائِلًا: «قَدْ أَخْطَأْتُ إِذْ سَلَّمْتُ دَمًا بَرِيئًا». فَقَالُوا: «مَاذَا عَلَيْنَا؟ أَنْتَ أَبْصِرْ! فَطَرَحَ الْفِضَّةَ فِي الْهَيْكَلِ وَأَنْصَرَفَ، ثُمَّ مَضَى وَخَتَقَ نَفْسَهُ» (متى ٢٧ : ٣-٥).

٣. كيف ينبغي لحقيقة خطية الإنسان، بل خطيتنا نحن تحديداً، أن تجعلنا متواضعين أمام الآخرين (بمعنى أن لا ندينهم)، ومتواضعين كذلك أمام الله؟ لماذا ينبغي لحقيقة أن الأمر اقتضى الصليب، أي موت ابن الله ليخلصنا، أن تظهر لنا مدى سوء وبشاعة الخطية حقاً؟